حوار جريدة مايو مع الرئيس محمد أنور السادات حول الديمقراطية (الجزء الأول)
فى٢٧ ابريل ١٩٨١

سؤال : سيادة الرئيس : هل يمكن تقييم الحزب الوطنى الديمقراطى من خلال انجازاته وسلبياته عن الفترة السابقة؟

الرئيس السادات : قبل أن أتحدث عن الحزب الوطنى اعتقد انه من الضرورى الحديث أولاً عن التجربة الحزبية التى سبقت قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ففى تلك الفترة كانت مصر تأخذ بنظام تعدد الأحزاب وبعد قيام الثورة بدأنا بنظام الحزب الواحد ثم توليت وأنهيت هذا النظام ، وعدنا للأخذ بنظام تعدد الأحزاب مرة أخرى وفى رأيى أن تلك التجربة تحتاج إلى إعادة تقييم شاملة ، وأنا أريد من "مايو" أن تعطى كل موضوع حقه في التأصيل والدراسة والموضوعية بحيث تقدم للقارئ صورة كاملة وشاملة لما نتعرض له من قضايا

أن التجربة الحزبية المصرية تتصل اتصالاً وثيقاً بسؤال يمكن أن يطرح نفسه وهو لماذا قامت ثورة ٢٣ يوليو؟

والإجابة بسيطة وقد أجبت عن جزء منها في حديثى الذى نشر في مايو في العدد الماضى عندما قلت أن شعب مصر كان قد فقد الثقة والاحترام لكل من كان يمارس السياسة والحزبية قبل يوليو

www.anwarsadat.org

سنة ١٩٥٢ تصرفات هؤلاء الساسة بدءاً بالملك ومروراً على جميع رجال الأحزاب من كبار وصغار فقدت الشعب أى احترام لهم وأي اقتناع بهم وقد تدهش ان ما كان يحدث في مصر قبل الثورة دار أمامى كشريط بمناسبة الزيارة التى قام بها أخيراً الأمير فيليب زوج ملكة بريطانيا للقاهرة تذكرت كيف كانت مصر تحكم من دار المندوب السامى البريطانى كانت تلك الدار هى مصدر السلطات

وعندما زارنا الأمير فيليب جاء لمقابلتى في الاسماعيلية ولم يكن في برنامج الزيارة أن ألتقى به مرة ثانية وعندما علمت أن السفارة البريطانية دعت إلي مأدبة عشاء تكريماً للأمير فيليب ووجهت الدعوة لعدد من المسئولين أمرت بالاتصال بالسفارة وإخطارهم بأننى أنوى حضور هذه المأدبة وفوجئت السفارة بطلبى وحدثت لرجالها لخبطة كبيرة

والحقيقة أننى قصدت بذهابى لدار السفارة البريطانية أكثر من معني فهذه الدار كانت داراً للمندوب السامى وشهدت عهد كرومر بعنجهيته وكراهيته لمصر والمصريين كما شهدت تلك الدار كيلرن الذى لم يهن أحد مصر ورجالها كما أهانها هذا الرجل حقيقة اننى لم أشهد عهد كرومر ولكنى شهدت كيلرن ، وكانت أسعد لحظة في حياتى وكنت وقتها معتقلاً فى سجن الأجانب عندما أمسكت بجريدة المقطم وقرأت عنوانها الرئيسى في الصفحة الأولى عن نقل السفير البريطانى كيلرن من القاهرة لا تتصور كم كانت

سعادتى عندما قرأت هذا النبأ أحسست وكأن كابوساً رهيباً انزاح فجأة عن صدر مصر وصدر شعبها

التاريخ يذكر كيف أذل هذا الانجليزى مصر وكيف أهان ملكها وساستها وكبارها وكان يحكم بلادنا بمنتهى القسوة والتعالى والغرور ان كيلرن في نظرى كان ألعن بكثير من كرومر

وقتها كان لمصر ملك وتعدد أحزاب ورؤساء وحكومات من أصحاب المقام الرفيع وأصحاب دولة وأصحاب سعادة وأصحاب معالى

شريط تسجيل تلك الفترة دار أمام ذاكرتى وأنا جالس داخل السفارة البريطانية في حفل تكريم الأمير فيليب لقد قدرت بريطانيا هذا الموقف تماماً فهذه أول مرة يزور فيها رئيس مصر سفارتهم سبحان مغير الأحوال

فى نفس هذه الدار كان يقيم فيها موظف بدرجة سكرتير يسمى السكرتير الشرقى وكان هذا الموظف يتعطف أحياناً ويتواضع ويصافح أحد زعماء مصر من السياسيين فتنقلب الدنيا ويسعد هذا الزعيم سعادة كبرى ويتلقى تهانى الزملاء ويمتلئ قلب المنافسين بالحقد والغيرة وكانت الصحف تصدر فى صباح اليوم التالى تزف للناس بشرى رضاء السكرتير الشرقى عن الزعيم السياسى المحظوظ والمحسود

وأحياناً كان يزداد تواضع السكرتير الشرقي البريطانى فيدعو أحد زعماء مصر السياسيين لشرب الشاى أو القهوة معه فيحس الزعيم وكأن طاقة ليلة القدر قد انفتحت له أما إذا حدث وغضب السكرتير الشرقى على أحد هؤلاء السياسيين فهذا معناه أنه أصبح لا شئ وعليه أن يعتزل السياسة والحياة ذاتها

لهذه الأسباب كلها كرهنا دار المندوب السامى التى تحولت إلى سفارة ولكن بنفس السلطات ونفس الرجل كيلرن لما كانت تمثله لنا تلك الدار وكنت أنا شخصياً لا أطيق مجرد المرور أمامها كراهية فى سكانها وتغيرت الظروف الآن

وطلبت أن أحضر مأدبة العشاء تكريماً للأمير فيليب ليس فقط لأن الاحتلال البريطانى انتهى وإنما أردت بذهابى إلى مبنى السفارة أن أعبر باسم مصر وأسمى عن العرفان الكبير بالمواقف البريطانية الأخيرة أردت أن أقدم الشكر لبريطانيا على تفهمها لسياستنا ومساعداتها لنا ، وموافقتها علي كل ما طلبناه – ونطلبه منها

نعود إلي تجربة تعدد الأحزاب وأسباب قيامنا بثورة ٢٣ يوليو ويهمنى أن أقدم للشباب القصة الكاملة لهذه الفترة فأقول أن شعب مصر نكب بحكامه، فقد ظل لألفى سنة، حكامه أجانب، وحتى قيام ثورة يوليو طوال هذه الفترة

ومصر تحكم بالأجانب حتي عندما حكمت مصر وبالأسرة المالكة – أسرة محمد على كانت هى الأخرى أجنبية وغير مصرية؟

الحكام أجانب ، وجاء المحتل الأجنبى هو الآخر ليزيد من حجم المأساة التى طحنوا بها شعبنا طوال السنوات الطويلة الماضية وليس مطلوباً من الأجنبى أن يجب شعب مصر أو أن يحترم ارادته ، ويحافظ على كرامته ولكن الغريب أن نجد زعماء مصر من السياسيين المصريين وهم.. يتسابقون لإرضاء الأجنبى والمستعمر على حساب مصر وشعبها وكرامتها وسيادتها والأمثلة كثيرة ولا حصر لها.. كرومر مثلاً أذل مصر كما لم يذلها غيره ثم صدر قرار بنقله بعد انتهاء مهمته وبدلاً من أن يودع باللعنات أقيمت له حفلات توديع اشترك فيها زعماء كبار

وكيلرن الذى تعالي علينا وأهاننا وداس على كرامة مصر في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وفرض سطوة بلاده علينا ذهب لزيارة النحاس باشا في رئاسة مجلس الوزراء فصفقوا له وحملوه حملاً وهتفوا بحياته

هل عرفت الآن سبب قيامنا بثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ السبب اننا كمصريين من طراز آخر غير طراز الساسة والسياسيين السابقين طراز الباشوات وأصحاب المقام الرفيع الذين لا يمكن أن يكونوا قد عبروا عن مصر والمصريين الحقيقيين كانوا يعبرون فقط عن ذاتهم ومصالحهم وما فى نفوسهم وعن المهانة التى ظهروا بها أمامنا لقد صدق فيهم قول المرحوم

الدكتور طه حسين في كتابه على هامش السيرة عندما قال "إنما يراك الناس بقدر تصويرك لنفسك فإن أهنتها رؤيت مهانة وان أعززتها رؤيت عزيزة"

وكنا نحن دائماً أعزاء على مصر وعلى أنفسنا أما هم فكانوا أذلاء للمستعمر الأجنبى وللملك فأهانهم واستهتر بهم

سؤال سيادة الرئيس : وهل قامت ثورة ٢٣ يوليو بلا تنظيم سياسى شعبى؟
الرئيس : ان ثورة ٢٣ يوليو تفخر بأنها أول ثورة تقوم وليس لها تنظيم شعبى لماذا لاننا قمنا بثورتنا تعبيراً عن إرادة الشعب وكان شعب مصر قد قال رأيه وحدد موقفه من النظام السياسى الفاسد الذى يراه أمامه ، ولم يعد يحترم الزعماء والأحزاب والأحقاد الحزبية.. كانت هناك الأحزاب الوطنية ولكنها كانت صغيرة وغير مؤثرة وغير قادرة على أن تنافس الأحزاب الكبيرة التى تمرست على الفساد ومارست كل فنون الإفساد

وتعدد الأحزاب بدأ فى مصر بالحزب الوطنى وقبل قيام ثورة ١٩١٩ وبعد تلك الثورة أصبح سعد زغلول أقوى زعيم ووثق فيه الشعب والتف حوله لدرجة أن البعض كان يهتف ويقول "الاحتلال على يد سعد ولا الاستقلال على يد عدلى" وهذا بالطبع نوع من التطرف غير مطلوب وغير مقبول ومنذ هذا الوقت وتجربة الأحزاب تعيش فى خلافات لا تنتهى إلا

www.anwarsadat.org

لتبدأ من جديد منافسة مقيتة وكريهة ووصلت فى مرحلة من مراحلها إلى تأليه الفرد وضرب أى زعيم آخر أو حزب منافس فالهدف هو السلطة والحكم أما الأهداف القومية ومطالب وحقوق الشعب فهذا ما لم يفكر فيه أحداً

لقد أخذوا من المجتمعات المتحضرة فكرة تعدد الأحزاب ولكنهم أخذوا الاسم فقط ولم يأخذوا التجربة كاملة في تلك المجتمعات المتحضرة مثل بريطانيا والولايات المتحدة تتعدد الأحزاب ومعنى ذلك تعدد البرامج والهدف الأوحد لتلك البرامج كلها فى النهاية هو رخاء المواطن. أما عندنا فتعدد الأحزاب كان يعنى الوسيلة للفوز بلقب صاحب دولة كرئيس الوزراء وصاحب معالي كوزير ثم تقدموا فأصبح اللقب المرموق الجديد هو صاحب المقام الرفيع وكانت العملية كلها صراعاً على السلطة صراعاً على المناصب على النفوذ ولم نسمع عن برامج تنمية البلاد ، ولا عن برامج لتحقيق الرخاء للمواطنين وحل مشاكلهم وتوفير احتياجاتهم المنافسة فقط على المقاعد وليس على البرامج

هذا كله أحس به شعبنا، وثار ضده.. ميزة الشعب المصرى انه لا ينسى انه يختزن في داخله كل ما يراه.. وعندما زاد حجم القرف لديه لم يعد يحتمل وأعرب عن ضيقه وقرفه وجاء حريق القاهرة فى
يناير ١٩٥٢ علامة من علامات الرفض الشعبى لما يراه ويسمعه

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو التف الشعب كله حولها ان أكثر الذين كرهوا الثورة وحاولوا التشهير بها ووصفوها بأنها ليست ثورة وإنما انقلاب عسكرى لم يجرؤ واحد منهم أن ينكر شعبية تلك الثورة واضطروا إلى الاعتراف بأنها انقلاب عسكرى أيده الشعب والسبب أن الشعب كله وقف بجانب ثورة ٢٣ يوليو منذ اللحظة الأولى للإعلان عن قيامها، وعلى الرغم من عدم وجود أى تنظيم شعبي مسبق للثورة

إن ثورة ٢٣ يوليو جاءت لتصحيح ثورة عرابى وتصحيح ثورة ١٩ وتصحيح حقبة مليئة بكل المصائب التى سببها الفساد السياسى والحزبى

وكان من المفروض بمجرد قيام الثورة ونجاحها، أن نخلص البلاد من هذا الفساد فتلغى الأحزاب القائمة أو ندعو لقيام الأحزاب الجديدة ولكن الثورة لم تلغ الأحزاب ولم تطالب بقيام أحزاب أخرى جديدة كل ما فعلته الثورة انها طلبت رسمياً من الأحزاب القائمة ضرورة تطهير صفوفها وكانت ثورة ٢٣ يوليو صادقة في نصيحتها وكنا نتوقع أن تتعاون معنا الأحزاب وتقوم بتطهير صفوفها على الفور خاصة اننا فى مجلس الثورة كنا نريد أن نسلم البلاد للأحزاب بعد الاطمئنان إلى سلامتها ونظافتها

ولم يكن هذا القرار من مجلس قيادة الثورة سهلاً بل على العكس من ذلك واجه المجلس أولا خلافاً حاداً بين أعضائه بسبب قضية كيف تحكم مصر، وانقسم المجلس على نفسه. الأغلبية بالكامل – وأنا من بينها – صوتت مع

الديكتاتورية وجمال عبد الناصر وحده صوت للديمقراطية وعندما هدد عبد الناصر بتقديم استقالته والعودة إلى الخدمة فى الجيش أمام إصرار الأغلبية على الأخذ بالديكتاتورية فور نجاح الثورة اضطررنا إلي موافقة عبد الناصر على رأيه والأخذ بالديمقراطية وترك مسئولية الحكم للأحزاب القائمة بشرط واحد هو أن تقوم الاحزاب بتطهير صفوفها من الفاسدين والمفسدين

فوجئنا بما لا يخطر على البال.. وفوجئنا بالحزبيين الفاسدين، وهم الذين قاموا بتطهير أحزابهم والتخلص من منافسيهم انتظرنا أن تطهر الأحزاب نفسها من قياداتها الفاسدة ففوجئنا بأن تلك القيادات الفاسدة هى التى قامت بعملية تطهير غيرها واحتفظت لنفسها بمناصبها ومواقعها القيادية داخل الأحزاب. ولم تكن هذه هى المهزلة الوحيدة فقد طلبنا من الأحزاب أن توافق على تحديد الملكية الزراعية فرفضت الأحزاب ونصحت بفرض الضرائب التصاعدية. وعبثاً حاولنا اقناع زعماء الأحزاب بأننا لا نبحث عن زيادة موارد الدولة المالية وأما تحديد الملكية الزراعية هو مبدأ من أهم مبادئ ثورة ٢٣ يوليو. فهى ثورة اجتماعية تهدف إلى تخليص الفلاح من استبداد صاحب الأرض ، وكنا ننادى بتحرير المزارعين من الإقطاع والاقطاعيين ورفضت الأحزاب هذا المبدأ

حتى ان رئيس الوزارة الذى اختارته الثورة فى بداية قيامها وهو المرحوم على ماهر لم يوافقنا على قانون تحديد الملكية واضطررنا إلى ابعاده عن

الحكم ، واتفقنا على أن تشكل الوزارة الجديدة برئاسة اللواء محمد نجيب واشترك معه فى الوزارة عدد محدود جداً من ضباط الثورة فلم يكن الوصول إلي الحكم هو هدفنا من قيام ثورة ٢٣ يوليو وليس سراً اننا في اجتماع مجلس قيادة الثورة يوم ٢٧
يوليو ١٩٥٢ وبعد رحيل الملك فاروق بيوم واحد – ثرنا على اقتراح أن يتولى مجلس قيادة الثورة حكم البلاد

فالحكم ليس هدفنا، والمناصب السياسية لا تهمنا. لقد قمنا بثورتنا ولم تكن لدينا أية برامج ولم نمثل حزباً من الأحزاب ولم نفكر فى تشكيل أى حزب، كل ما كنا نعلمه ان الثورة ستواجه بمقاومة عنيفة من الانجليز ومن الملك وأعوانهما وكنا نتوقع أن نصطدم بالسلاح في معارك مريرة، ودامية وهذا فقط ما كنا نستعد له وننتظر مواجهته وقامت الثورة وفوجئنا بنجاحها السريع وفوجئنا أكثر بوقوف الانجليز على الحياد وبموافقة الملك على التنازل عن العرش وأسرعت الأحزاب ترحب بنا وتحاول استمالتنا

وأبدينا تفهماً وطلبنا من الأحزاب أن تطهر صفوفها ثم تتولى بعد ذلك حكم البلاد وتحقق مطالب الشعب وأولها إصدار قانون تحديد الملكية

ورأينا كيف حاولت الأحزاب التلاعب بنا. فقد تولى الفاسدون عملية تطهير أحزابهم. ورفضواقانون تحديد الملكية الزراعية ليس هذا فقط بل وحاولوا التآمر علينا عن طريق تشجيع الضباط على القيام بانقلاب ضدنا

وأحبطنا هذا التآمر فى ديسمبر ١٩٥٢.. ثم اضطررنا إلى اتخاذ القرار الذى كان لابد من اتخاذه في اليوم الأول لقيام الثورة ونجاحها، اتخذنا قرار الغاء الأحزاب وجاء متأخراً عن موعده بستة شهور. أصدرنا قراراً بالغاء الأحزاب فى يوم ١٦ يناير ١٩٥٢ ولفترة انتقالية لمدة ثلاث سنوات تنتهى في يناير ١٩٥٦

وتولينا الحكم خلال فترة الانتقال وفى سنة ١٩٥٦ نفذنا ما وعدنا به الشعب وأصدرنا أول دستور مؤقت ولكننا لم نجر الانتخابات نتيجة لمعركة ١٩٥٦ ضد اسرائيل وبريطانيا وفرنسا، وبعد المعركة وفى سنة ١٩٥٧ أجريت الانتخابات وتم تشكيل البرلمان بناء على الدستور المؤقت

هذا ما فعلته الثورة وفي خلال سنوات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة وتعال نري ما فعلته الدول الأمريكية عندما قامت كدولة لأول مرة. كانت الولايات المتحدة – وقتها – تتكون من ١٣ ولاية فقط بعد انتصار الشعب الأمريكى على بريطانيا وحصوله علي استقلاله وظلوا لمدة ١٢ سنة متصلة تعاقب على حكمها ثلاثة رؤساء، بدون أحزاب فلم يوافق الكونجرس على قيام الأحزاب ولا على تعددها طوال هذه السنوات وهذا شئ قد يبدو غريباً بالنسبة لشعب يقدس الديمقراطية ويدافع عنها ويلتف حول أحزابه السياسية ولكن الشئ الذى يدعو إلى الإعجاب بالفعل هو أن الشعب الأمريكى آمن ان

من الخطر جداً السماح بقيام تعدد الأحزاب فور نيل البلاد استقلالها وقيامها دولة مستقلة ذات سيادة

وكان الأمريكيون يرون ان قيام الأحزاب مع قيام الدولة الجديدة لابد أن يفتت وحدة الولايات ويخلق خلافات كان الشعب الأمريكي فى غني عنها

وقد تزداد دهشتنا إذا عدنا إلي ما قاله الشعب الأمريكى ضمن مبررات تأجيل قيام الأحزاب فى بلاده أي منذ مائتى سنة تقريباً فنجد أن أهم تلك المبررات هو الحفاظ على الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى. انني – كما لاحظ شعبى – لا أترك مناسبة إلا وأعيد التنبيه إلى ضرورة العمل على الحفاظ على الوحدة الوطنية المصرية وعلى السلام الاجتماعى. وهو نفس ما كان الشعب الأمريكى يحرص عليه منذ مائتى سنة خوفاً على بلاده فى بداية قيامها كدولة جديدة ومستقلة

ووافق الشعب الأمريكى وحرص على وحدته الوطنية وسلامه الاجتماعى ورفض قيام تعدد الأحزاب خوفاً من تفتت الولايات التى كانت ١٣ ولاية فقط وأصبحت الآن ٥٠ ولاية وظلت الولايات المتحدة بدون أحزاب لمدة ١٢ سنة كاملة

www.anwarsadat.org

هذا ما حدث في دولة كبيرة مثل الولايات المتحدة الأمريكية. أما نحن هنا في مصر الدولة الصغيرة فقد احتاجت الثورة إلي ثلاث سنوات فقط – منذ قيامها وحتى ١٩٥٦ – كفترة انتقال من عهد أسود تلوث بالفساد الحزبى ، وأفقد الشعب ثقته فى جميع أحزابه وقياداتها إلي عهد حاولت فيه الثورة أن تجعل منه عهد سلام ووحدة وتنمية

وحتى تلك الفترة القصيرة تخللتها نشاطات تنظيمية سياسية تسد الفراغ السياسى الذى كان يمكن أن ينشأ فى غياب أى نشاط حزبى وسياسى فأنشأنا هيئة التحرير وكان لابد من وجود هذا التنظيم الشعبى بهدف تأصيل الثورة ، ولم يكن من الممكن ولا من المعقول أن نفكر في قيام تعدد الأحزاب بعد كل ما عرفناه عن الأحزاب السابقة وما حاولت قيادات تلك الأحزاب أن تفعله بنا وبالثورة في أعقاب قيامها وطوال الأشهر الستة التى أعقبتها

كان الأمر الطبيعى جداً هو أن يقوم نظام التنظيم الواحد أو ما يمكن أن نسميه بالحزب الواحد كتجربة جديدة قد تنجح وقد تفشل ولكن لابد من الأخذ بها خاصة بعد أن كفرنا جميعاً بتجربة تعدد الأحزاب السابقة

وهذا هو السبب فى قيام هيئة التحرير التى أصبحت فيما بعد الاتحاد القومى ثم أعيد تنظيم الاتحاد القومى مرة أخرى ثم قام الاتحاد الاشتراكى بدلاً من الاتحاد القومى

وكما حدث للاتحاد القومى حدث مثله للاتحاد الأشتراكى فقد ظهرت عيوب إدارية وغير إدارية مما جعلنا نعيد تنظيم الاتحاد الاشتراكى للمرة الثانية وعلى أمل التخلص من سلبياته وسقطاته. وجميع تلك التنظيمات الشعبية السياسية التى شهدتها سنوات الثورة يمكن تسميتها بنظام الحزب الواحد وهو نظام يختلف تماماً عن نظام تعدد الأحزاب.. الذى نأخذ به الآن

سؤال : سيادة الرئيس : لماذا أعدت نظام تعدد الأحزاب وكنت ترفضه في الماضى ، بل أن نشاطك السياسى كله، والذى عرضك للكثير من المشاكل والمخاطر قبل قيام الثورة كان يهدف أول ما يهدف إلى انهاء الأحزاب بعد أن كفر الشعب بها ؟

الرئيس : كان لابد من الخلفية التى تحدثت عنها فى بداية هذا الحديث حتى نصل إلي النقطة التى سألتنى عنها الآن. فكما قلت لك أننى كنت من أشد أنصار الديكتاتورية وأعلنت رأيى هذا فى اجتماع مجلس قيادة الثورة فى يوم ٢٧ يوليو – ووافقنى باقى أعضاء المجلس ماعدا جمال عبد الناصر وحده الذى أصر على الأخذ بالديمقراطية. ليس هذا فقط بل أن ما رأيته من الفساد والإرهاب السياسى الحزبى فى الماضى. جعلنى أنادى بتعليق المشانق فى ميدان الأوبرا.. للتخلص من جميع الذين أفسدوا حياتنا. وسمموا مبادئنا وامتصوا دماء شعبنا

فى ذلك الوقت ناديت بالديكتاتورية، ضرباً للإرهاب الذى ووجهنا به كشعب وثورة. وكنت أميل إلى أقصى التطرف في هذا الشأن، وكنت لا أطيق سماع كلمة الأحزاب، أو كلمة الديمقراطية، كلمتان كفرت بهما تماماً

وتخلصنا من الفساد الحزبى السياسى، واختفى زعماء الإفساد من الساحة.. البعض مات، والبعض الآخر توارى، وضاع ولم يعد يملك حولاً ولا طولا، والأهم من هذا كله أن الشعب لم يعد يذكر تلك الأحزاب، ونسى ما عاناه في ظل سنوات حكمها الأسود

بالنسبة لى شخصياً، فاننى اخترت لنفسى طريقاً خاصاً بى.. كنت عضواً لمجلس قيادة الثورة ومنذ هذا الوقت وأنا أرفض أن أتولى أى منصب من مناصب الحكومة. وعندما انتخب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية فى يونيو ١٩٥٦، قدمت استقالتى وقلت لجمال إننى لا أريد أن أعمل وزيراً فهذا المنصب فى رأيى هو مجرد مدير مستخدمين فهو مسئول عن ترقية الموظفين ونقلهم وتعيينهم وأنا لا أصلح لمثل هذه المهمة. وبالفعل ابتعدت عن المناصب الحكومية إلى أن دخلت عضواً بمجلس الأمة في سنة ١٩٥٧ واختارنى النواب وكيلاً لهذا المجلس، وكان البغدادى رئيساً له ووافقت على أن أكون وكيلاً لمجلس الأمة فهو عمل سياسى ومتصل بالنشاط الجماهيرى، وليس منصباً حكومياً

وعندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا في سنة ١٩٥٨ انتخبت رئيساً لمجلس الوحدة الذى يضم مجلس النواب السورى ومجلس الأمة المصرى، وشغلت هذا العمل لمدة سنة ونصف السنة تقريباً، ثم حدث الانفصال وانحل المجلس بالتالى وبقينا فى مصر بدون مجلس أمة حتى سنة ١٩٦٤ وعندما شكل المجلس الجديد فى سنة ١٩٦٤ اخترت رئيساً له

وأذكر أننى قلت لجمال عبد الناصر
"يا جمال.. اننى أقبل رئاسة المجلس بناء على طلبك، ولكن بشرط واحد هو أن مدة هذا المجلس ستنتهى فى سنة ١٩٦٩. وقد قررت أن أعتزل العمل فى هذا الموعد

اننى أشعر بالإجهاد، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أننى اختلف عن باقى أعضاء مجلس قيادة الثورة، فقد كنتم تعملون فى القوات المسلحة، وتجلسون فى مكاتبكم، أما أنا فقد كنت مطروداً من الجيش ومقيماً بصفة متقطعة في المعتقلات، وذقت آلام الجوع، وعرفت الحرمان وعملت في أعمال عديدة بحثاً عن قوتى وقوة عائلتى. حقيقة اننى بدأت أتعب وأحس بالإرهاق. وفى سنة ١٩٦٩ سأبلغ – ان شاء الله – الخمسين من عمرى. وأعتقد أن في هذا كفاية لى. لقد حققت أقصى ما كنت أتمنى. اشتركت في الثورة ونجحنا فيها. وأصبحت عضواً فى مجلس قيادتها وهذا وحده أرفع منصب يمكن أن أطمع فيه"

ورد جمال عبد الناصر قائلاً : "يا سيدى.. لما ييجى وقتها يبقى يحلها ربنا". فعدت أقول لجمال : لا يا جمال. لقد قررت بالفعل الاعتزال، وبمجرد انتهاء مدة المجلس في سنة ١٩٦٩ وإذا كان لى عمر، سأذهب إلى قرية ميت أبو الكوم، وأجلس هناك على المصطبة، وعندما تشعر بحاجة إلي الراحة النفسية، يمكنك أن تأتى لزيارتى هناك وتمضى معى أجازة نهاية الاسبوع، ونجلس معاً نضحك، ونتسلى كعادتنا. اتفقنا يا جمال."، ووافق جمال عبد الناصر

ومرت سنوات الستينات، وهى سنوات لا تنسى لقد ازدحمت تلك الفترة بمصائب، ونكسات لا حصر لها ويكفى أن نحدد هنا بعضها، فأقول أن تلك السنوات شهدت مرض عبد الناصر بالسكر فى ١٩٦٠. وفى ١٩٦١ حدث الانفصال. وفى ١٩٦٢ بدأت حرب اليمن وهي الحرب التى اشتركنا فيها انتقاماً ورداً على حركة الانفصال. وفى نفس السنة أى سنة ١٩٦٢ تولى مدير مكتب عبد الناصر رئاسة الوزراء وحتى سنة ،١٩٦٥ وكانت تلك الفترة من أحلك وأصعب الفترات فى تاريخ الشعب المصرى. ففى تلك الفترة بدأ الشعب يلحظ أن نظام الاتحاد الاشتراكى ليس مجرد نظام الحزب الواحد، وإنما هو النظام الشمولى الذى يطبق فى المجتمعات الماركسية، وهو نظام يعطى للحاكم كل ما يخطر وما لا يخطر على البال من صلاحيات، تدعمها الاجراءات الاستثنائية وكلنا نذكر ماذا فعل الحزب الواحد لشعب مصر فى تلك الفترة سيطر عليه رجال الاشتراكية، الشعبية

الديمقراطية الماركسية واتبعوا أسهل طريق لكتم أنفاس المواطنين، ومنع تحركهم وكبت حرياتهم فعندما كان يشعر الحكام بوجود حالة تمرد، أو ضيق بين المواطنين، نجدهم يسارعون باتخاذ إجراءات قمع، بدلاً من البحث عن أسباب هذا الضيق، وإيجاد الحلول لها وكلما ازداد الضيق، ازداد بالتالى ضغط الاجراءات. في المجتمعات الديمقراطية تبحث الحكومات عما يريح المواطنين ويحل مشاكلهم أما في النظام الشمولى فإن الحكام يضربون التمرد بالإجراءات فالسجون والمعتقلات مفتوحة لاستقبال المتمردين بعد اتهامهم بأنهم يمثلون "الثورة المضادة"

وتحت شعار ضرب الثورة المضادة شهدت مصر اجراءات قمع وضغط لا يمكن قبولها واحتمالها وما أكثر الثورات المضادة التى خضنا ضدها الحروب الضارية. فعندما حدث الانفصال في
سنة ١٩٦١، فرح الذين أضرت الثورة بمصالحهم، أو حاكمتهم أو حددت ملكياتهم، وأعلنوا عن فرحتهم بالانفصال بتوزيع الشربات واعتبر هذا التصرف من جانبهم بمثابة "ثورة مضادة" وعلى الفور اتخذت اجراءات قمع استثنائية وفرضت الحراسات على من شكوا فى ارتباطهم بالثورة المضادة، وتضاعفت الاجراءات وتفننوا فى وسائلها، بداية مع سنة ١٩٦٥ وسمعنا عن قيام لجنة تصفية الاقطاع وقيل وقتها ان أذناب الثورة المضادة من الملاك كشفوا عن أنيابهم ولابد من ضربهم بقبضة من حديد وتحت ظل هذا الهدف أصبح كل شئ مباحاً، فلا مراعاة لقيم ولا لمبدأ ولا لإنسانية ولا لرحمة وقد تدهش عندما تعرف اننى خلال تلك الفترة كنت أتفرج على ما

يجرى وأراقبه من بعيد لبعيد، فلم أكن في السلطة ولم أكن أشغل أى منصب تنفيذى في الحكومة فأنا بطبيعتى لا أحب أن أتصارع على السلطة بعكس البعض ممن تولوا المناصب وكانوا يتصارعون فيما بينهم طمعاً فى المزيد من السلطات ، والمزيد من الصلاحيات ولم أكن من بين هؤلاء وأولئك ولم تكن لى بالتالى معركة سلطة ولذلك كنت أراقب ما يحدث أمامى، واختزنه فى عقلى الباطن دون أن أشعر، إلى أن وقعت واقعة

وكان اليوم الخميس.. وكنت قد وصلت إلى ميت أبو الكوم وكانت قرارات جلسات لجنة تصفية الإقطاع تعلن يوم الخميس من كل أسبوع، وفى هذا اليوم كان كل مواطن فى مصر يضع يده على قلبه خوفاً من أن يأتى اسمه ضمن قائمة تصفية الاقطاع الأسبوعية

وكعادتى لا أقرأ الصحف اليومية إلا مساءاً، ولذلك لم أكن قد اطلعت على القائمة الجديدة. وجاء أحد معارفى لزيارتى فى ميت أبو الكوم ، وهو مهندس زراعى وعضو في الاتحاد الاشتراكى، وسألنى : "ما رأيك فى قرار لجنة تصفية الإقطاع المنشور اليوم"؟ فقلت له اننى لم أقرأ الصحف بعد فقال لى : أرجو أن تطلع عليها الآن، فهى خاصة بلجنة تصفية الإقطاع فى مركز تلا"

ولم ينتظر أن أطلب إحضار الصحف وأخرج من جيبه إحدى الصحف وقدمها لى وبدأت أقرأ ففوجئت بوجود أسماء من فرضت عليهم الحراسة في

مركز تلا وجميعهم من المؤيدين للثورة والنظام والعاملين في التنظيم الشعبى، وليسوا هم وحدهم من أنصارنا وإنما أولادهم أيضاً، فنحن الذين أدخلناهم الكلية الحربية وكلية البوليس والجامعات والمعاهد، كما أننا نعرفهم بالاسم، ونثق فى إخلاصهم للثورة، ولأهدافهم والأهم من هذا كله ان أغنى واحد فيهم لا يمتلك أكثر من بضعة أفدنة قليلة ، ولا علاقة لأحد بالإقطاع أو بالإقطاعيين

حقيقة لقد فزعت فزعاً شديداً فلم أكن أتصور أن يصل الأمر إلى هذا الحد، ولم أكن أتوقع أن تخطئ لجنة تصفية الإقطاع هذا الخطأ البشع، وكان لابد من أن أتصرف وبأسرع وقت ممكن وعلى الفور ركبت سيارتى وعدت مرة أخرى إلى القاهرة، وتوجهت إلى منزل عبد الناصر في منشية البكرى، وكنت أقابله بلا موعد مسبق ودخلت على جمال وقلت له القصة الغريبة بأكملها ورد جمال قائلاً

"والله دى مصيبة يا أنور المهم الحق بسرعة وروح لعبد الحكيم عامر"

وقلت لجمال

الخطورة فى أن كل ما كنا نسمعه عن تجاوزات لجنة تصفية الإقطاع اتضح الآن لابد أن فيه حقيقة، فهؤلاء الذين أحدثك عنهم يا جمال من مركز تلا وممن فرضت عليهم الحراسة أعرفهم شخصياً واحداً واحداً وأعرف مدى إخلاصهم لبلدهم وثورتهم فكيف يوقع عليهم هذا العقاب، بلا سبب وبلا جريمة وتطلعت إلي وجه جمال، وانتظرت سماع رأيه